الاتجاهات الكبرى المفسرة للحراك الاجتماعي

تقديم:

إن موضوع الحراك الاجتماعي والمهني تمت معالجته من قبل عدة اتجاهات، تكاملت في زوايا؛ كما تناقضت في أخرى، وهذا بسبب اختلاف المكان والزمان بالإضافة إلى تباين المرتكزات فهناك من كانت منطلقاتهم حقلية،ومن كانت تنظيرية تأملية للواقع من خلال المشاهدات، وسيتم التركيز على أهم رواد التنظير في كل من المدرسة الأمريكية والفرنسية والانجلوسكسونية.

أولا:بيتريم سوروكين: لقد رصد في كتابه الحراك الاجتماعي 1927 Social Mobilityمسار الحراك الاجتماعي من خلال منظومات التوجيه المسماة بالقنوات، التي تكون ذات فعالية وهي:

الجيش، الكنيسة، المدرسة،المنظمات، العائلة،... كما لاحظ أن الحراك الأفقي قوي في المجتمعات الغربية آنذاك؛ وذلك للنمو الديمغرافي ولكنه ليس دائم، ولخص الحراك في ظل التغير الاجتماعي في:

- ينتقل الأفراد من وضعية إلى أخرى في فترات الاضطرابات الاجتماعية وفي مرحلة الحروب، وفي عهد الثورات السياسية والاجتماعية، وفي عصر التحولات الصناعية والتجارية التي تحدثها الاكتشافات والاختراعات.

- كلما كانت المسافة التي يقطعها الفرد في حياته الاجتماعية المهنية طويلة كلما نقص عدد الأشخاص من الأدنى إلى الأعلى.

- المسافة الزمنية الضرورية للصعود أو النزول في السلم الاجتماعي قد تتعدى جيلين أو ثلاثة ؛بإستثناء بعض الحالات التي تحدث فيها قفزات من طرف أشخاص محدودين.

- تخضع الفئات الوسطى في المجتمع لعدم الحراك: أي الثبات الاجتماعي في حين يبرز الحراك في الوضعية الاقتصادية لدى الطرفين المتناقضين – الفقراء والأغنياء-

- حين تختلف الوضعية الاقتصادية للأب عن الابن الذي ينحدر من الطبقة الاقتصادية الدنيا يصعد في السلم، بينما ابن الطبقة الوسطى يصعد ويتقهقر في آن واحد بينما ينزل الابن المنحدر من العائلات ذات الدخل المرتفع في السلم الاجتماعي.

- تكشف المجتمعات الغربية عن تيارين متناقضين هما تيار الصعود والنزول في الميدان الاقتصادي، ولا ينبغي الاعتقاد بأن الفئات الاقتصادية تحتوي نفس الآباء والأبناء المنتمين إلى الفئة الواحدة، وإنما هناك من يسميهم الدخلاء سواء من الطبقات العليا أو الدنيا.

- تحكم القواعد العامة حراك الفئات الاجتماعية وتوزيع الظواهر الثقافية، وقد تقع بعض الانحرافات عن هذه القواعد ، لكنها حالات خاصة وليست استثناء، وبذلك لا يمكن فهم التشابه في الوضعيات إلا من خلال تصور شمولي لثقافة السكان.

ثانيا: فوكس ومليلر: طرح كل من "فوكس ومليلر" نتائج هامة وهذا انطلاقا من مقارنة بين اثني عشر دولة صناعية من بينها الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا واليابان وكانت:

- رغم أن العوامل الاقتصادية تؤدي دورا مهما في الحراك،فهي ليست العوامل الوحيدة .

- إن التعليم هو العامل المهم في الحراك الصاعد انطلاقا من المهن اليدوية.

- كلما كان تطور مستوى التنمية كلما ضعف الحراك التنازلي.

- لا يؤثر التحضر ولا مستوى المعيشة المعرف بواسطة الإنتاج الوطني الخام على الحراك التصاعدي.

- كلما كانت درجة التحضر والاستقرار السياسي متطوران،كلما كان الحراك التنازلي كثيرا.

- ثالثا: جيرود: هناك دراستان "لجيرود" في موضوع الحراك الاجتماعي؛ الأولى تعني بعلاقة الحراك بمتغير الوضعية الاجتماعية المهنية والثانية علاقة الحراك الاجتماعي بالتحليل الرياضي والإحصائي، في الدراسة الأولى حاول تحليل الحراك على أساس جيلي سواء بين الأجيال أو داخل الجيل – علاقة بين المهنة السابقة في الماضي والمهن الحالية- ليصل إلى النتائج التالية:

- إن بنية التشغيل تتجه اتجاها تصاعديا، ونادرا ما تحدث الحركات التنازلية.

- تؤدي الهجرة الريفية دورا مساعدا في إبعاد الأفراد عن مجموعتهم الأصلية.

- يؤدي الدخل والملكية دورا هاما في إعادة الشخص إلى خطواته الاجتماعية ، رغم ظروفه الاجتماعية الأولى التي ابتعد عنها.

- تعود الترقية الاجتماعية إلى الجهد الفردي؛ أو للتغيرات التي تحدث في الفروع الاقتصادية، الحالات لا تتكرر، ولا يوجد هناك تحول جذري للبنية الاجتماعية.

- يؤدي التصنيع إلى قطيعة الروابط العائلية وإلى التغير في البنية الاجتماعية

- تتدخل عملية التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها العائلة إلى التغير في البنية الاجتماعية؛ التي تقوم بها العائلة والمدرسة في انتقال الهيكل الوراثي من الآباء إلى الأبناء.

- يؤدي التمايز في الشروط والقيم الاجتماعية، ونمط السلوك دورا مؤثرا في الانفصال الاجتماعي.

- إن تغير الفئة الاجتماعية المهنية ،يؤدي إلى تغير الوضعية القاعدية؛ بتنقل الشخص من تقني زراعي إلى تقني صناعي.

في الدراسة الثانية يرى أن هناك مجموعة من العوامل تتحكم في الحراك الاجتماعي وهي:

- يمارس المستوى الثقافي للعائلة وبنية العلاقات الإنسانية داخلها وعلاقتها مع بقية أعضاء المجتمع، وطموحاتها وتأثيراتها على درجة نجاح الطفل في المدرسة.

- إن المنفعة الذاتية التي يحصل عليها الشخص من اختيار تخصص أحسن، تكون أعلى كلما كان المستوى الاجتماعي للآباء مرتفعا.

- يؤثر الاعتبار الاجتماعي على الرأي العام تأثيرا معتبرا، فالعامل يحصى على أنه فقير، وذو ثقافة منخفضة، حيث تنغلق لديه العلاقات الاجتماعية.

- **رابعا: تيمان:** طرح مختلف العوامل الزمانية والمكانية المؤثرة في الحراك الاجتماعي والمتمثلة أساسا في :

- الثبات السياسي، التنمية الاقتصادية، درجة التحضر، الإنتاج الوطني غير الصافي- مجموع العوامل الاقتصادية، السياسية والاجتماعية- وخرج بالنتائج التالية:

- تقوم الأيديولوجية الاستحقاقية بعملية تغطية للحراك النازل، أو تقوم بانتزاع قسري للشخص الذي ينحدر من أصل اجتماعي متواضع، وتدمجه في وضعيات عليا إذا كان مستواه الثقافي مرتفع.

- كل مجتمع تسيطر عليه فكرة الوضعية، يعاني من نتائج مضطربة في الحراك، وهذا تبعا للإطار الذي تفرضه هاته الوضعية الاجتماعية، أو لعدم قدرة الأشخاص على الاندماج الاجتماعي.

- **خامسا: جانكس:** اعتبر أن الجهاز التعليمي وما يتبعه يعد مصدر للتمايز الاجتماعي، لكنه لا يؤثر إلا جزئيا بجانب عوامل أخرى منها الوضعية المهنية والدخل والرضا عن العمل، ومن أهم النتائج التي توصل إليها في مؤلفه "عدم المساواة" مايلي:

- ينقل الآباء نصف تقدمهم أو تقهقرهم المهني لأبنائهم، أي ترتبط درجة الحراك بالمدة الزمنية.

- لم يتصاعد الحراك الاجتماعي بعد الإصلاحات السياسية ولم يتقلص بعد التغيرات التكنولوجية.

- تصبح المهن ذات امتياز لأن الأشخاص ذوي المستوى العالي يختارونها؛ المهن الأقل ربحا،كالتعليم والشؤون الدينية،لأن هذا النوع يجد أناسا تلقوا تربية ما.

- إن النسق الذي يؤدي يوزع الوضعيات على أساس المعارف يؤدي إلى حراك اجتماعي قوي أكثر من أي نسق أخر.

كما نفى " جانكس" الفرضية التي كانت سائدة والتي تدعي أن الناس يرغبون في مهنة راقية كغاية،لبلوغ أهداف أخرى مثل الغنى والسلطة والسعادة،لكن خلال الذي قام به برزت فرضية أخرى وهي أن تلاميذ الثانوية لا يرغبون في الحصول على نشاط مهني راقي ،لأنه يضمن بالضرورة السعادة أو الدخل المرتفع.

سادسا: ليبزى وبندكس: يلخص الكاتبان النتائج التي توصلا إليها كالتالي:

- لا يوجد اختلاف كبير في انتقال العمل اليدوي إلى عمل غير يدوي في البلدان الصناعية لذلك فدرجة الحراك متقاربة.

- اختلاف الأصل الاجتماعي على المستوى الوطني بالنسبة للإداريين يرتبط بفرض التعليم من جهة و بالمركز الذي تحتله إدارة من الإدارات

- تشجيع بعض الثقافات الخاصة الأفراد على الحراك ،بينما بعضها الأخر يصبح معرقلا.

- تحدد البنية الوظيفية – نظام التوظيف- نماذج وأنماط من الحراك في المجتمعات الغربية المصنعة.

- يرغب الأشخاص ذوي المكانات الدنيا في الصعود،ويحاولون تحسين مكانتهم بمجرد ما تسمح لهم الفرصة

- الحراك يمكن أن يرتبط بالميراث،أي ارث المكانة الاجتماعية

- ينبغي التمييز بين الحراك الداخلي والخارجي،لتأثره بالبنية الطبقية التي تتحول إلى بنية عائلية مستمرة باستثناء بعض الحالات التي تكون فيها الحواجز القانونية.

- **سابعا: بيار بورديو:** تطرق "بيار" إلى دور التعليم في تنمية الحراك الاجتماعي، ورمزية الطبقات وسماتها التي تتحكم عملية الحراك، كما ورد في مؤلفه مع "باسيرون" تحديد جديد لآليات عدم المساواة والذي يتمثل في الانتقاء الممارس في الجامعة مايلي:

- لا ينظر النظام الرأسمالي إلى النجاح المدرسي الآمن،إلا من خلال فكرة الموهبة ولا يقيم اعتبارا للظروف الاجتماعية والاقتصادية؛ التي جعلت البعض أكثر موهبة.

-ينبغي أن تلغى عدم المساواة بحركة تربوية شاملة، وذلك لأن الديمقراطية الكلية تخفي التباين في الحظوظ الاجتماعية والتربوية.

- إن الطبقات المحظوظة تجد في الأيديولوجيا التي تفضل الموهبة، مشروعية امتيازاتها الثقافية التي تحولت من ارث اجتماعي إلى أفضلية فردية واستحقاق شخصي.

- يعتبر الانقطاع عن الدراسة لدى الطبقات المسحوقة مستحقا،لدى الايديولوجين والبرجوازيين في حين تعتبر موهبة "النجاح" استحقاقا لدى الطبقات المحظوظة.

ويؤكدان أن المدرسة –النظام المدرسي- تعمل على ترسيخ وتثبيت رأسمال أبناء الطبقة المهيمنة كونهم ورثة؛ إذ تنتهي بعملية إعادة الإنتاج ، لتعمل في المقابل على تنمية رأسمال أبناء الطبقة المتدنية بتلقينهم المعارف غير الموجودة في مكتسباتهم الثقافية، ما تقابلها عملية الحراك لأولئك الأفراد المتدنيين ثقافيا اجتماعيا تبعا لتدنيهم الاقتصادي. أي تقوم حركة الأفراد مقابل إعادة إنتاج المكانة على رؤوس الأموال المتوارثة والمنتجة من الفرد الناتج عن المدرسة.

ثامنا: ريمون بودون: نقد طرح بورديو حول إعادة الانتاج؛ فاللاتكافؤ ليس نتاج حتمي للنظام الاجتماعي المحض؛ بل الفاعلون الاجتماعيون ليسوا مسيرون من habitus بل زيادة لذلك تابعة للتسيير العقلاني، حيث اختيار الفرد لاختصاص دون أخر يكون قائما على حساب التكاليف ؛ الامتيازات، المخاطرة.

الأمر الذي ينتهي بعملية القرار المركب الناتج عن حساب الخسائر والأرباح، المؤسس فعليا على الإستراتيجية؛ أي تقوم المدرسة بوظيفتين أساسيتين بحسب الفضاء الحضري المتواجدة فيه،إعادة الإنتاج، التفضيل/التمايز، حيث يقوم الالتحاق بالمدارس على التمايز الاجتماعي مابين الأفراد بحسب خلفياتهم الثقافية – رأس المال الموروث عن الأسرة- ما يجعل الحراك عن طريق المدرسة مرتبطا بالأسرة- رؤوس الأموال ، المحيط- ما ينتج عنه عدم تكافؤ بين الأفراد الملتحقين بها، والذي يكون مصاحب للحياة المدرسية.

تاسعا:G.Simmel:اهتم في كتاباته،بالتنافس ونوعية العلاقات الاجتماعية، تقسيم العمل والتنظيم المتدرج،مؤكدا على التفاعلات المستمرة بين الأفراد وتبادل الخطاب،كونها آليات مساعدة على تنشيط حركية الأفراد ومن ثمة الحراك الاجتماعي في المجتمع،مؤكدا على الصور المتعددة للعلاقات الاجتماعية- السمو، الدونية، المنافسة- تكوين الأحزاب هي أهم آلية للحراك نفسه،أين تكون متشابهة انتشاريا- المكان-، مختلفة في المضامين و المبادئ. فالبحث في الصراع والتأكيد عليه،وبالأخص بخصوصية اتساع المدينة الحديثة- ما يجعلها عبارة عن نسيج اجتماعي حضري مكون من عينات اجتماعية متعددة المرجعيات والخلفيات الاجتماعية الثقافية- وتنوع الفاعل الاجتماعي- الحراك الحضري،وانخراط أفراد من غير الأصول فيها،كل هذه المفاهيم تسهم بتفاعلها في الحراك بمبدأ حركية المجتمع، ضمن حقل علم اجتماع جزئي وحركية الجماعة.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...